

فاعلية الرموز الطبيعية في شعر الأطفال لسليمان العيسى (ديوان "أراجيح تغنى للأطفال" نموذجاً)

زهرا فريد*

ملخص

اهتم المسلمون قديماً وحديثاً بالسيرة النبوية العطرة وبكل ما يتصل بحياة الرسول يعتبر الرمز بوصفه أرقى أنواع التخيل الذي يربط مخيلة الفنان ولاشعور الأديب بالحقائق الكونية؛ من أكثر الآليات الفنية استعمالاً في النصوص الأدبية بأنواعها المختلفة. في أدب الأطفال ويرغم سطحية التفكير لدى المخاطب وعدم إدراكه للدلالات السيميائية الموجودة في النص، فالحاجة ملحة لتوظيف الرموز ذات الدلالات المعروفة إلى جانب خلق رموز ذات دلالات تعبيرية جديدة بهدف نقل المفاهيم الانتزاعية إلى مخيلة الأطفال، وإثراء مخيلتهم البدائية وتطويرها فضلاً عن توسيع أفق نظرهم للحياة. تعتبر الرموز الطبيعية من أكثر الرموز استعمالاً في أدب الأطفال، حيث يقوم الشاعر والكاتب بخلق رموز عبر الاستعانة بعناصر الطبيعة كالجبل والوديان والبحر و...، في محاولة منه لتجسيد الأفكار والمفاهيم المجردة ونقلها إلى مخيلة الأطفال لتصبح مفاهيماً حسية ويكون الطفل قادراً على إدراكها. تسعى هذه الدراسة عبر الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي لتبيين الظواهر الطبيعية التي وردت في شعر الشاعر السورى سليمان العيسى وأخذت دلالات رمزية، وصولاً لمعرفة أهداف الشاعر فيما يتعلق باستخدام الرموز. ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، هي أن استخدام الشاعر للرموز الطبيعية الشخصية وغيرها يدخل في إطار طموحاته الخاصة وهي الأمل بالمستقبل وخلق روح المثابرة لدى الأطفال واليا فعين بغية الوصول إلى الطموحات القومية منها المقاومة وانتصار الأطفال الفلسطينيين. ثم إن الشاعر يستعين بأسلوب الانزياح لوصف بعض الرموز المعروفة لتحبيبها في أذهان الأطفال وتغيير رؤية الأطفال نحوها.

الكلمات الدلالية: شعر الأطفال، الرمز، رموز الطبيعة، الهوية القومية، سليمان العيسى، أراجيح تغنى للأطفال.

*. أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء، طهران، إيران.

z.farid@alzahra.ac.ir

تاريخ القبول: ١٣٩٨/٥/١ش

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/١٢/١٢ش

المقدمة

لاشك أن الطفولة مرحلة من أهم المراحل المؤثرة في حياة الإنسان وكذلك مجتمعه الذى يعيش فيه، لذلك فان كل عمل تربوى صحيح سوف يؤثر على معظم جوانب حياة الإنسان فى مستقبله وعلى مجتمعه أيضاً، وفى المقابل تؤثر كافة الأساليب غير السوية والخطأية فى تربية الطفل على حياته وبالتالي هذه الممارسات الخطأية آثار سلبية على مصالح الأطفال وتعرض مستقبلهم للخطر «فالطفل ثروة الحاضر وعماد المستقبل تعتمد عليه الأمم فى تشييد حضارتها لذلك تعمل على إعداده وتربيته للقيام بأداء المسؤوليات التى يلقيها المجتمع على عاتقه.» (بن عمر، ٢٠١٤م: مقدمة البحث). وانطلاقاً من أهمية مرحلة الطفولة ودورها فى صناعة شخصية الإنسان ومستقبله، اهتم العلماء والمفكرون اهتماماً كبيراً بهذه المرحلة وكتبوا بحوثاً ودراسات خاصة وضحوا فيها الطرق السليمة لتربية الأطفال وتعليمهم. وإلى جانب العلماء والمفكرين، تفرغ عدد من الأدباء لتعليم الأطفال وخلقوا أدبا غايتة نمو الطفل وتطوره المعرفى بالإضافة إلى تنمية مواهبه وقدراته الأدبية.

إن سليمان العيسى^١ شاعر عربى سورى جلّ شعره موجّه للأطفال فهو يعد رائد شعر الأطفال فى العصر الحديث. (قرانيا، ٢٠٠٣م: ٦٥) إنه جعل شعره أداة لتنمية الأطفال واكسابهم بعض العادات الصحيحة والارتقاء بفكرهم، كما جعله أداة تعبر عن مطالب الأطفال وطموحاتهم، ذلك لأن «القضية القومية والوحدة العربية والبناء الوطنى والثورة هى المحاور الأساسية فى هم الشاعر وهى تكرر لديه وتتجسد عبر لوحات عديدة وأساليب متنوعة: البعث والعروبة والوحدة وفلسطين والفداء العربى والارتباط بالأرض.» (عزام، 2008م: <http://www.startimes.com/?t=12569686>)

١. من مواليد قرية نعيرية بمحافظة اسكندرون فى سوريا كان من أعضاء حزب البعث بسوريا ومن أصدقاء زكى الأرسوزى. إنه قضى حقبة من عمره فى التدريس فى المدارس الابتدائية. وبدأ بإنشاد الشعر للأطفال منذ نكسة حزيران عام ١٩٧١م. له عدة دواوين ومسرحيات وقصص. من أعماله الشعرية يمكن الإشارة إلى: ديوان "غَنُوا يا أطفال"، "الشعراء يقدمون أنفسهم للأطفال"، "أحكى لكم طفولتى يا صغار"، "ديوان الأطفال"، "الأعمال الأخيرة"، "نشيد الحجارة" ودواوين أخرى. (عبشى، ٢٠٠٥م: ٢٧١) وفى عام ٢٠٠٠م حصل على جائزة الإبداع الشعرى لمؤسسة الباطين. توفى سليمان العيسى فى مدينة دمشق السورية فى التاسع من أغسطس ٢٠١٣م عن عمر يناهز ٩٢ سنة.

فكذلك توظيف الرمز في أشعار العيسى جاء بهدف التعبير عن الظواهر والحقائق الاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمعات العربية وتخلف الأمة العربية عن مجدها القديم. إن الشاعر ومن خلال أناشيده يسعى لخلق بيئة وظروف تربوية مناسبة تؤهل الأطفال للتعامل الصحيح مع قضايا الواقع، وفي نفس الوقت تهيئهم لتحقيق آمال الشعوب العربية وتطلعاتهم.

يقول العيسى: لماذا لا نُنشد للأطفال؟ أى شيء أهم وأعلى من الأطفال؟ هل استغنى كتابنا وشعراؤنا عن الكتابة والإنشاد للأطفال؟ لماذا لا أنشد للأطفال وقلبي مليئ من الميول نحو الكتابة لهم؟ إن الأطفال كالشرايين التي يبحث عنها العالم العربى لكي يستعيد من خلالها جريان دمه الذى توقف منذ ألف عام. (العيسى، ١٩٩٩م: ٢٣)

إن الشاعر ومن أجل التعبير عن أفكاره استعان بالعديد من الرموز الطبيعية إلى جانب توظيفه المكثف للرموز التاريخية فى شعره. وعليه جاءت هذه الدراسة بهدف تبين فاعلية الرموز الطبيعية (الحيوانات والأعشاب والأزهار والفصول والكائنات غير الحية) فى شعر الأطفال لسليمان العيسى.

أهمية البحث

من العوامل الأساسية التى دفعتنا إلى تحليل الرموز، خاصة الرموز الطبيعية فى أدب الأطفال أولاً، قلة الدراسات فى حقل أدب الأطفال إذا قيست إلى أدب الكبار خاصة الدراسات التى تعنى بموضوع الرموز وفاعليتها فى هذا النوع من الأدب. وثانياً أن القراءة الأولية لديوان سليمان العيسى باعتباره شاعر القومية العربية ورائد شعر الأطفال ظهر لنا أنه لم يكتف فى شعره بوصف الطبيعة وظواهرها فحسب بل يجاوزه إلى استخدام الطبيعة كرمز لبيان أفكاره وأمنيته القومية. كذلك تم اختيار دراسة الرموز الطبيعية لكشف أهدافه من توظيفها فى أشعاره.

وكذلك دليل اختيار كتاب "أراجيح تغني للأطفال" من بين مؤلفات الشاعر سليمان العيسى الشعرية كعينة للدراسة جاء من عدة منطلقات، أولها أن هذا الكتاب من آخر الكتب التى ألفها الشاعر، لذا يمكننا أن نكشف من خلاله نظرة الشاعر للطفولة فى نهاية

عمره. والثاني أن هذا الكتاب يحتوى على صور فنية جذابة تنقل للقارئ رؤية الشاعر للقضايا القومية والوطنية بلغة سهلة مرنة وموضوعية ومؤثرة.

أسئلة البحث

هذا المقال يسعى الى الإجابة على السؤالين التاليين من خلال دراسة أشعار سليمان العيسى:

١. ما هي رموز الطبيعة في شعر سليمان العيسى؟
٢. ما هي أهداف العيسى من توظيف تلك الرموز في أشعاره؟

فرضيات البحث

بعد قراءتنا الأولية لديوان سليمان العيسى -شاعر الأطفال و القومية العربية- بدا لنا أنه تجاوز وصف الطبيعة إلى استخدامها كوسيلة لبيان آلامه وطموحاته تجاه مستقبل الوطن العربي، فالحيوانات والأعشاب والكائنات الطبيعية الحية وغيرها أدوات يتمسك بها الشاعر لبيان آرائه. كذلك ظننا أنه أكثر من استخدام الحيوانات بالنسبة للظواهر الطبيعية الأخرى وإن الشاعر قد استخدم جميع الألوان والفصول تعبيراً عن أفكاره. وكذلك أن الشاعر بسبب ميوله القومية اهتم بالقضية الفلسطينية خاصة الأطفال الفلسطينيين من خلال الرموز الطبيعية.

منهج البحث

هذه الدراسة قد اعتمدت المنهج الوصفي - التحليلي فعرضنا أولاً مدخلا نظريا للتعرف على أدب الأطفال ودوره في التربية ومفهوم الرمز ومكانته في الأدب خاصة أدب الأطفال ومن بعد ذلك عمدنا إلى استخراج وتحديد الرموز الطبيعية وأنواعها في شعر سليمان العيسى على أساس المنهج الوصفي ثم اعتمدنا على مدخل تطبيقي فتمت دراسة دلالات الرموز وتحليلها معتمدة على المنهج التحليلي وكذلك درسنا كيف اتخذ العيسى الرموز الطبيعية وسيلة لتربية الأوالاد، تربية وطنية وقومية.

خلفية البحث

إن الدراسات المرتبطة بأشعار سليمان العيسى (للکبار والأطفال) قليلة ومع ذلك يوجد عدد قليل من الرسائل والبحوث التي خصصت لدراسة شعر العيسى ومؤلفاته، نشير إلى بعضها فيما يلي:

رسالة تحت عنوان «شرح و بررسی اشعار سليمان العيسى با تکیه بر مضمون و موسیقی» لـ"رسول دشتیان". نوقشت الرسالة في القسم العربي لجامعة طهران عام ٢٠١٢ م. وتطرق الباحث في دراسته إلى علاقة الموسيقى الخارجي (الأوزان والقوافي) والموسيقى الداخلي (التكرار والجناس و...) بالمضمون الشعري في ديوان الأطفال لسليمان العيسى.

رسالة أخرى بعنوان «بررسی وتحلیل صورخیال در اشعار کودکانه محمد کیانوش و سلیمان العیسی» لـ"زهرة سرخی زاده"، نوقشت في جامعة بيام نور عام ١٣٩٥ ش. قامت الكاتبة فيها بدراسة وتحليل أنواع الصور البلاغية كالتشبيه والاستعارة في أشعار سليمان العيسى و محمد کیانوش شاعر ایرانی ولكنه ما أشار إلى بحث الرموز في شعره. وكتب الباحث: "مسعود باوان بوری"، بحثاً تحت عنوان: «نگاهی به ادبیات کودک سرزمینهای عربی مطالعه مورد پژوهانه: سلیمان العیسی»، تطرق فيه إلى ميزات أشعار العيسى وموضوعاته في ديوان الأطفال. والبحث نُشر في مؤتمر الاتجاهات الوظيفية في العلوم الإنسانية والإدارة، عام ٢٠١٣ م.

وقام "أبو الفضل رضایی" بدراسة الموضوعات التي ذكرها سليمان العيسى في ديوان الأطفال، وذلك في مقالة تحت عنوان «أهمية الدواوين الشعرية للأطفال، سليمان العيسى نموذجاً». وتحت عنوان «مضامين طبيعت گرایانه در ديوان الأطفال سليمان عیسی»، قام "فؤاد عبدالله زاده" وآخرون، بدراسة وصفية مختصرة لعناصر الطبيعة في ديوان الأطفال للشاعر نفسه. والمقالة هذه طبعت في الملتقى الدولي للدراسات الأدبية واللسانية والعلاقات الثقافية في عام ٢٠١٤ م. ولكنها ما تناولت المعاني الرمزية لمظاهر الطبيعة وعلاقتها بفكر الشاعر وطموحاته.

وكذلك مقالة أخرى تحت عنوان «بررسی وتحلیل اشعار تعلیمی سلیمان العیسی

در حوزة ادبيات كودك» بقلم "مهين حاجي زاده" وآخرون نشر في مجلة "نقد ادب عربى" عام ١٣٩٤ش، قد تناولت الكاتبة فيها الموضوعات والآليات المستخدمة من قبل سليمان العيسى فى تربية الأطفال وترشيدهم وتوعيتهم.

وهناك مقالة عنوانها «الرمز الطبيعى ودلالته فى شعر سليمان العيسى (ديوان أنا والقدس)» قام بها "صادق فتحى دهردى" وزميله، نشرت عام ٢٠١٧م فى العدد ٣٥ لمجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية بجامعة بابل. والمقالة تعالج الرموز الطبيعية فى شعر سليمان العيسى للكبار فى ديوان "أنا والقدس". فمن البديهي أن الرموز الموجهة للأطفال تختلف عن الرموز التى تناسب عالم الكبار، فلكل فئة رموزها الخاصة تتلائم مع عالمها الذهنى.

كما قام "محمد عزام" فى مقالة تحت عنوان «دراسة مضامين شعر الأطفال عند سليمان العيسى» والتى نشرت عام ٢٠٠٨م فى موقع منتديات ستار تايمز، قام بمعالجة المضامين الشعرية الأساسية فى دواوين العيسى للأطفال وبين العلاقة بين موضوعاته الشعرية وأفكاره الاجتماعية والسياسة.

لكن بالنسبة لدراسة فاعلية الرموز الطبيعية فى قصائد الأطفال لسليمان العيسى لم يجد الباحث بحثاً تناول هذا الموضوع بالشكل الذى نحن بصدد دراسته. وخلال البحث فى المكتبات وأيضاً المواقع الإلكترونية العربية والفارسية، لم تعثر الباحثة على بحث قام بدراسة كتاب "أراجيح تغنى للأطفال".

أدب الأطفال؛ سماته وأهدافه

ولأدب الأطفال تعاريف مختلفة منها أن أدب الطفولة هو الكلام الجيد الذى يحدث فى نفوس الأطفال متعة فنية سواء أكان شعراً أم نثراً وسواء كان شفويا بالكلام أو تحريرياً بالكتابة ومثال ذلك: القصص والمسرحيات والأناشيد. (نجيب، ١٩٩٩م: ٢٧٩-٢٨٠)

وبطبيعة الحال هناك فرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار فى بعض السمات والخصائص، فالأول موجه للطفل فى أنواعه مختلفة شعراً ونثراً، ويهتم بالخصائص

النمائية للطفل وله أثر فى نفوس الأطفال من متعة وراحة وتشويق إلى جانب الأهداف والأعراض الأخرى التى لا بد من التركيز عليها. فللأدب مسؤولة إمداد الطفل لتحقيق الأهداف المنشودة وله دور فى إشباع اهتماماتهم وتربية أذواقهم وإثراء لغتهم. (بن عمر، ٢٠١٤م: مقدمة البحث)

ويعتبر الشعر أكثر الأنواع الأدبية تأثيراً فى تربية الأطفال وتنمية قدراتهم بسبب ما يحمله من عواطف وأحاسيس جياشة ومؤثرة إضافة إلى الموسيقى التى تساعد على نقل المفاهيم وتخليدها فى أذهان الأطفال. و«الشعر لا يعكس الحياة فحسب ولكنه فوق ذلك يظهرها فى أبعاد جديدة ولأنه لا يقتصر على متعة الموسيقى والعاطفة بل ينتقل منها الى الحكمة فوق أنه يدخل البهجة والفرحة على الأطفال ينبغى أن يساعدهم على تنمية مدركاتهم ونفاذ بصيرتهم.» (الحديدي، ١٩٨٩م: ١٩٩)

إن تدعيم البناء الروحى والمادى للطفل، وتلقين القيم والسلوكيات والآداب العامة، وغرس المبادئ الدينية وتقوية الاعتزاز بالوطن والأمة والإسهام فى بناء الوطن وإثراء اللغة العربية الفصحى، وتشجيع الطفل على حرية التعبير وأساليب التفكير من الوظائف التى تؤديها أدب الأطفال. (خوانى، ٢٠٠٨م: ٦)

الرمز ودوره فى أدب الأطفال

فأما الرمز لغة يطلق عند العرب على الإشارة بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليد والقم واللسان. (فيروزآبادى، ١٤١٥ق: ٢/٢٨٤) أو الرمز تصويت خفى باللسان كالمس. (ابن منظور، ١٤١٤ق: ٣٥٦/٥)

أما اصطلاحاً أن الرمز «فن بيان الأفكار والعواطف والرغبات والمشاعر والانفعالات الباطنة وبيان الأفكار التى تدور فى خلد الإنسان، ليس على سبيل الوضوح ولا على سبيل تشبيه تلك العواطف والمشاعر والأفكار بالتصورات الحسية الواضحة، بل على سبيل الإيحاء والإشارة إلى كفييتها أو ماهيتها مع الاستعانة بالرموز غير واضحة لإيجاد صورة عن تلك العواطف والأفكار فى ذهن القارئ.» (تشادويك، ١٣٧٨ش: ١)

إن الرمز «هو وسيلة إدراك ما لا يستطيع التعبير عنه بغيره فهو أفضل طريقة ممكنة

للتعبير عن شئ لا يوجد له أى معادلة لفظى بديل من شئ يصعب أو يستحيل تناوله فى ذاته.» (عكاشة، ١٩٩٤م: ٨٥)

إن فى عالم الأدب يمكن الارتباط بالعوالم غير المعروفة والموجودات المتمايزية عن طريق المرمز. والرمز ينقسم الى قسمين: الرموز العامة والرموز الخاصة؛ والرموز العامة تشتمل على الرموز الأسطورية، والتاريخية، والدينية، والصوفية والطبيعية. والرموز الخاصة تعنى توظيف الرموز العامة وإعطائها دلالات جديدة حتى يكسب النص إيجاءات جديدة. (هجيرة، ٢٠١٥م: صص ٢٣-٣٢)

أما المراد من الرموز الطبيعية التى هى موضوع دراستنا، فهو تقديم صورة رمزية عن الأشياء الطبيعية حيث يقوم الشاعر بتحويل العناصر الطبيعية كالجبل والبحر والشجر والأزهار إلى رموز تبوح بما يختلج فى صدره ومخيلته من المعانى الشعورية التى لا يمكن صبها فى قالب الألفاظ الواضحة. وباختصار هو «استخدام الشاعر لعناصر الطبيعة ليعبر بواسطتها عن أحاسيسه وعما يختلج فى فؤاده من مشاعر وانفعالات.» (نفس المصدر: ٤٧) ثم إن توظيف ما يوجد فى الطبيعة من كائنات وظواهر وألوان وطيور وأزهار و... فى الشعر وإضفاء معان رمزية عليها هو دلالة على السعة النفسية عند الشاعر كما أنه دلالة على خياله اللطيف، «فالرمز الطبيعى أصبح معبرا آخر للشعراء لتوحيد الذات بالعالم والتعبير عن دلالات تجربتهم باستبطانهم لطاقت هذا الرمز وشحنة بمجملات شعورية وفكرية جديدة.» (رمانى، لاتا: ٢٨٨)

فالرموز الطبيعية تمتاز بالحيوية والمرونة لأنها تتغير وتتحول دائما بفعل التطورات الاجتماعية فإنها توفر للشاعر أرضية مناسبة للإبداع الفنى. لذلك يمكن للشاعر أن يتصرف تماما فى الرموز الطبيعية وفق ما يجول فى ذهنه من المشاعر والعقائد الخاصة. ولهذا «يكون للرمز الطبيعى ذا قيم جمالية متباينة ومتناقضة أحيانا فى النصوص الشعرية.» (بلوى ومهتدى، ١٤٣٦ق: ١٨٧)

والحقيقة هى أن الرمز قليل الإستعمال فى أدب الأطفال وذلك بسبب صعوبة فهم دلالات الرموز بالنسبة للأطفال. لكن مع ذلك فإن التوظيف الهادف للرموز فى أدب الأطفال يسهل عملية عرض الأحداث والمفاهيم ويجعلها ملموسة. إضافة إلى ذلك أن

الشاعر وعبر استخدام الرمز يثرى لغته الشعرية ويجعلها أداة لنقل المفاهيم التى تدور فى مخيلته وبذلك يتمكن من نقل المفاهيم والقيم الأخلاقية والتربوية التى يريد إدخالها فى أذهان الأطفال.

ولتوظيف الرموز واستخدامها شروط منها يجب أن تكون لتلك الرموز قرائن تساعد على تحديد الرموز من جهة وكشف مدلولاتها من جهة أخرى. ومن الخصائص الرئيسة لاستخدام الرموز فى الأدب خاصة أدب الأطفال، يمكن الإشارة إلى وجود مشتركات بين الرموز والمصاديق الحقيقة لمعنى الرموز الموضوع، وأيضاً انسجام وتلائم الرمز ومضمون النص وغاياته، وذلك بسبب تناسق الحركات والسكنات التى تتميز بها الرموز مع الخصائص الخارجية أو المادية والخصائص الداخلية أو المضمون.

فى شعر الأطفال بسبب عدم تمكن المخاطب من فهم واستيعاب الصور العميقة، لا بد من التعبير عن المفاهيم بصور مفهومة وذلك عبر الاستعانة بالمفردات الرمزية السمتلهمة من البيئة الطةبعية التى يعيش فيها الطفل. وعليه فإن المقصود من الرموز الطةبعية فى شعر الأطفال هو خلق صور رمزية من جميع الكائنات الحية، والعناصر غير الحية الموجودة فى الطةبيعة، بهدف التعبير عن الأفكار والمفاهيم. ومعنى ذلك أن الشاعر يعمد إلى خلق رموز عبر الاستعانة بالكائنات الموجودة فى الطةبيعة كالجبل والبحر والشجر... الخ، لىتمكن من التعبير عن المفاهيم الميتافيزيقية الموجودة فى ذهنه، ويجعلها ترتقى لتصبح صوراً حسية بعد أن كانت عسية على الفهم.

تحليل الرموز الطةبعية فى شعر سليمان العيسى

لاشك أن أحد أرقى وأجمل العناصر الموجودة فى شعر الأطفال هى العناصر السمتلهمة من الطةبيعة. الحيوانات والأعاشب وباقى الكائنات الحية والأشياء غير الحية كالجبال والأشجار والرياح والأمطار، والفصول والألوان المختلفة الموجودة فى الطةبيعة هى عناصر لها تجليات مختلفة فى أدب الأطفال لاسيما الشعر منه. ويرى العالم النفسانى "جون بياجه" بأن الأطفال لا يميزون بين الفوارق الموجودة بين الكائنات الحية والكائنات غير الحية. ثم إن الأصل لدى الأطفال هو ان جميع الكائنات حية، لذلك

فانهم ينسبون كافة الظواهر وأحداث الحياة إلى الأشياء والتطورات التي تحدث من حولهم. (باللي، ١٣٧٩ش: ١٢) وعليه فان الشاعر الذي ينشد شعراً للأطفال يستعين بالظواهر الطبيعية لنقل ما يدور بباله من أفكار ومفاهيم وذلك بحسب نظرته لفترة الطفولة ومعرفته بمدى علاقة الطفل بالطبيعة وما فيها من كائنات ومجادات وأيضا مدى تأثير الطبيعة على النمو العاطفي والعقلي للطفل.

ويرى سليمان العيسى بأن التربية في أحضان الطبيعة هي إحدى وجوه التربية. ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الطبيعة في شعره ليست ساكنة جامدة وإنما هي متحركة تعلم الأطفال وتشاركهم مختلف ضروب الفرح والابتهاج، في ربيعها، وخريفها، وشتائها، وصيفها. ولا نبالغ إذا قلنا إن سليمان العيسى يحذو حذو "جان جاك روسو" في الدعوى إلى تربية الأطفال في حضن الطبيعة الدافئ، لينهلوا منها الجمال والحرية. من هنا كان تأكيد الشاعر على وصف الطبيعة في حالاتها المتغيرة، ووصف الأطفال وهم يرحون فيها.

(عزام، 2008: <http://www.startimes.com/?t=12569686>)

إن الشاعر الذي نريد تحليل شعره في هذه الدراسة هو شاعر عاش في الريف بين جناحي الطبيعة فتأثر بمظاهرها الخلابه. والملاحظ من خلال أشعار العيسى أن "شجرة التوت" من الأشياء أو الكائنات الطبيعية التي تشكل جزءا لا يتجزأ من حياة الشاعر؛ تلك الشجرة التي - كما يذكر الشاعر نفسه - كانت موجودة في منزل والده وصنع داخلها بيتاً بمساعدة أخيه حيث كان يقضى فيها أيام وليالي الصيف. وقد ظهرت موهبته الشعرية في سن مبكر (بين التاسعة والعاشرة من عمره) في ظل هذه الشجرة.

إن تكرار اسم هذه الشجرة في اشعار العيسى هو دلالة على العلاقة بين الشاعر والطبيعة وأيضا مدى حبه لها. (العيسى، ٢٠١١م: ٢٢٦)

وكذلك بلغته الشعرية تحدث لنا عن صحبته القوية للطبيعة ويقول:
أذكرُوا إِنِّي عَشِقْتُ الْأَرْضَ وَأَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ/أذكرُوا إِنِّي كالأطفالِ غَنَيْتُ/وطاردتُ
الفراشاتِ طويلا /وقَطَفْتُ التينَ والرَّمانَ من بستانِ جَدِّي والقَمَرِ. (المصدر نفسه: ٨)
يبدو أن حب سليمان العيسى للطبيعة وإنشاده أشعاراً عن هذه العلاقة، يعتبر

محاولة لهروب الشاعر من الواقع الاجتماعي والسياسي المرير والمؤلم الذي كان يسود المجتمع آنذاك، خاصة بعد الهزائم المتتالية للجيش العربي في الحروب ضد إسرائيل. إن شاعرنا كان يبحث عن ضالته وتحقيق أحلامه في الجبال والوديان وفي الأنهار والأبحار؛ «حلم تحرير أهالي القرى من صعوبات الحياة وحلم الوصول إلى الحرية وحلم الوحدة العربية.» (العيسى وأبيض، ٢٠١٣م: ٢٨)

إن شعر سليمان العيسى وكباقي الأشعار القومية والوطنية، ملئ بأنواع الرموز خاصة الرموز الطبيعية، حيث يوظف الشاعر تلك الرموز لكي «يجسد للأطفال قضايا أمتهم الكبرى بمحسوسات معروفة لديهم منتقلا بهم من المجرد إلى المحسوس ليقربها إلى أفهامهم وضمائرهم.»

(عزام، 2008م: <http://www.startimes.com/?t=12569686>)

إن الشاعر يعتبر جمال الطبيعة كجزء أو مظهر من جمال الوطن لذا يسعى إلى أن يقيم علاقة بين الطبيعة والوطن من خلال توظيفه للرموز الطبيعية «الشفافة مما ينمي ذائقة الأطفال ويصقل وجدانهم الجمالي.» (نفس المصدر)

الحيوانات

منذ القدم كانت للحيوان مكانة خاصة في حياة الإنسان. ثمة خصائص وصفات مشتركة بين الإنسان والحيوان منها الذكاء والشطارة، والبلاهة والحماقة، والوفاء وعدم الوفاء، لذا يمكن للحيوانات أن تتحول لرموز يعبر عنها الإنسان عن أحاسيسه ومقاصده في الحياة اليومية، وعليه يمكن القول بأن توظيف الحيوانات وصفاتها في الكلام يساعد على التعبير عن المفاهيم أو الصفات الانتزاعية بصورة رموز طبيعية.

والملاحظ في شعر سليمان العيسى أن أسماء الحيوانات التي ذكرها الشاعر في قصائده أخذت دلالات رمزية غير معروفة لدى الجميع. فغالبية هذه الرموز هي رموز شخصية تعبر عن أحاسيس الشاعر وطموحاته استخدمها للتعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية أو استعان بها لبيان مفاهيم تربوية. الجدير بالذكر أنه بما أن المخاطب في هذه القصائد هم الأطفال، فإن استخدام أسماء الحيوانات له دور كبير وفاعل في التعبير

عن القضايا وإيصال الرسالة بسهولة للشخص المرسل إليه. النقطة الهامة التي يمكن الإشارة لها هي أن استعانة الشاعر بالحيوانات البرية للتعبير عن مقاصده أكثر من استعانتة بالحيوانات المائية، وسبب ذلك «إن حب الأطفال للحيوانات البرية أكثر من حبهم للحيوانات المائية (ماعداء السمكة)، وسبب ذلك هو خصائص العيش المشتركة بين الحيوانات البرية والإنسان.» (نصرتي، ١٣٨٨ش: ٥٩) وقد وردت أسماء العديد من الحيوانات والطيور المختلفة كالعصفور والعنديل والكناري والنسر وأنواع أخرى من الطيور. ثم إن توظيف العيسى لكل تلك الكائنات هو توظيف أو استخدام ذات دلالات رمزية عبر عنها سليمان عن مقاصده. وفي أشعار العيسى، ترمز طيور الصيد إلى القوة والصلابة، وفي المقابل ترمز الطيور الصغيرة إلى السلام والود والمحبة والصدقة إضافة إلى أنها ناقلة لرسائل الحرية والسرور.

نحْنُ الطيورُ/ إذ نبدأ الغناء في السَّحْرِ ونسْكُبُ الألمانَ/ لنوقظَ الحياةَ في العالمِ
المواتِ/ ونزرعُ الوثائمَ والحبَّ والسلامَ (العيسى، ٢٠٠٩م: ٨٦)

بما أن العيسى في قصائده قد شبه الأطفال بالطيور في أكثر من مناسبة؛ يمكن القول أن القصد من الطيور في هذه الأبيات هم الأطفال؛ أولئك الذين ينظرون إلى الحياة البائسة من منظار الشاعر ويعثون الحياة والأمل في الكون ويزرعون أشجار السلام والمحبة في فيه بعدما كان جسماً ممزقاً. وخلاصة القول إن هذه الأبيات هي صورة لآمال الشاعر وطموحاته المتمثلة بإحياء موارث الأجداد من قبل الأطفال في كافة الأقطار العربية والتميز بالطموح لبناء مستقبل زاهر للأمة العربية.

يعتبر العصفور من الطيور المعروفة لدى الأطفال أو ربما أقربها بالنسبة لهم. إن لهذا الطائر خصائص تجعله كائناً يشبه الأطفال، ومن تلك الخصائص صغر حجمه، والتحدث السريع وروح الدعابة والنشاط والحيوية. لذلك نرى العصفور من أكثر الطيور استخداماً وتوظيفاً في شعر سليمان.

العصفور في شعر العيسى خاصة في كتابنا هذا رمز للطفل العربي الذي سيبنى المستقبل؛ المستقبل الذي سيؤدي إلى تحرر الشعوب العربية وتخلصها من النقم:

يا عصفيرَ الجبلِ/ يا فراشاتَ الجبلِ/ رَفَرَفَى من حولنا/ واطرَبَى من قولنا/

للصنوبرات / جدّ عاليات / انقلبي لحن الأمل / يا عصافير الجبل (المصدر نفسه: ١٠٨)
في هذا الشعر نرى صورة لعالم الأطفال الذي يختلف عن عالم الكبار؛ فالعصافير
رمز الأطفال، والجبال وأشجار الصنوبر رمز للكبار. إن الشاعر هنا يطالب الأطفال
بإنشاد أنشودة الأمل لإيقاظ الكبار من نومهم العميق.
أو في هذه الأبيات:

أرقدى ما شئت خلف الحفر / في جذوع الشجر / أرقدى .. يا كائنات الحدر / العصافير
رموز / وأغانينا كنوز / وإذا ضاق بنا يوماً مكان / مثل لمح البرق طرنا لمكان / وحمّلنا
معنا نبض الحياة (المصدر نفسه: ١٥٤)

إن المخدرات في المجال والقاطنين في الحفر هم رمز لأفراد المجتمع من الكبار
الذين دخلوا في سبات عميق (والمقصود هنا المجتمعات العربية). إن الشاعر يرى بأن
هؤلاء الكبار ابتعدوا عن المنهج الصحيح وقمة الحضارة العربية المجيدة وسقطوا في
الحضيض. والعصافير هنا رمز للأطفال الذين يرفضون الاستسلام والجمود ويريدون
التحرك نحو التحرر. إنهم ينشدون أنشودة الحرية وبذلك يريدون إيقاظ الكبار من
نومهم العميق. إن الساحة التي تطير فيها العصافير هي الأراضي العربية، لذا فإنها
لا تتوقف عند مكان واحد وتحمل معها رسالة ديمومة الحياة واستمرارها من منطقة إلى
منطقة أخرى.

والعصفور كذلك في أشعار سليمان هو رمز للأطفال المشردين الفلسطينيين الذين
اقتلعوا من جذورهم وهم الآن يبحثون عن إثبات الهوية التي فقدوها.
العصافير / هاجرت منذ زمن / غادرت أعشاشها .. وغابت وراء الأفق / تبحث عن
نفسها، عن حياتها / لا عن مأوى .. كل مكان يمكن ... (المصدر نفسه: ١٢٣)

إن الحلقة المفرغة في حياة الطفل الفلسطيني لسيت الأرض فقط، لأن كل أرض من
الأراضي العربية أرضه ووطنه. إن حلقة المفرغه هي هوية الطفولة، لذا فانه يبحث عن
هذه الهوية في صفحات التاريخ العربي المجيد. إن الشاعر يرى بأن الحصول على هذه
الحلقة المفرغة (الهوية) يعني خروج الأمة العربية من الأزمة التي دخلت فيها واستدعاء
الهوية الضالة بالرجوع الى مجدها لتقديم.

بالنظر إلى تجليات رمز الطير في اشعار العيسى، يمكن القول بأن العصفور يعتبر من الرموز الشخصية التي أوردها سليمان في شعره؛ بمعنى أن الشاعر خلق من العصفور رمزاً خاصاً به. «إن الرموز الشخصية توضع بحسب تجارب الشاعر ونفسياته ومعتقداته، لذا فان معرفة تلك الرموز بحاجة إلى معرفة حياة الفنان وآراءه ونفسياته.» (شاملي وآخرون، ١٣٩٧ش: ٨) إن العصفور بشكل عام رمز الخوف والضعف، ولكن يأخذ معنا رمزياً آخر في شعر العيسى حيث يصبح رمزاً للأطفال الفلسطينيين، أولئك الذين في رأى الشاعر سيحققون الانتصار ويصنعون المستقبل. أولئك «الذين سيكونون خير من يتولى حمل الرسالة وإيصالها إلى غايتها.» (أبيض، ٢٠٠٩م: ١٠)

ومن الحيوانات الأخرى التي أضفى عليها الشاعر معنى رمزياً في شعره، هو "الوعل" الذى يعتبر رمزاً للصدوم وعدم الخنوع والسعى للوصول إلى الحرية. وهذا الرمز فى شعر العيسى، يعتبر من الرموز الشخصية للشاعر بحيث لم يشر إليه ولم يستخدمه أحد من قبل، والرمز الشخصى هو الذى «يبتكره الشاعر ابتكاراً محضاً أو يقتلعه من حائطه الأول أو منبته الأساس ليفرغه جزئياً أو كلياً من شحنته الأولى أو ميراثه الأصلي من الدلالة ثم يشحنه بشحنة شخصية أو مدلول ذاتي.» (كندی، ٢٠٠٣م: ٢٥٣)

لذا فان شفرة هذا الرمز تفك من خلال شعر العيسى فحسب، وفى باقى النصوص لايمكن استخراج هذا المعنى الرمزي الذى ابتكره الشاعر.

نلاحظ فى الأبيات التالية كيف يقوم الشاعر بعملية ابتكار معانٍ رمزية من خلال إشارته إلى هذا الحيوان، إلى جانب إضفائه معانٍ ودلالات رمزية على النسور والتلال والوديان والسحاب.

يا نَسْمَةَ الجِبَالِ / يا تَقِيَّةَ / يا نَسْمَةَ الجِبَالِ / إِنَّا عَشِقْنَا الشَّمْسَ والحَرِيَّةَ فى هذه التَّلَالِ / من صَخْرَةٍ لَصَخْرَةٍ نَدُورُ / وَيُضْحَكُ العَمَامُ / يَرُثُنَا بِالْأخْضَرِ المَسْحُورِ / فَعَيْشُنَا أَحْلَامِ / يا أَيُّهَا الجيرانُ فى السُّهولِ / تسلَّقُوا القِمَمَ / عيشوا مع النُّسورِ والوُعولِ / المجدُّ للِقَمَمِ. (العيسى، ٢٠٠٩م: ٢٦ و ٢٧)

إن الصورة التى يرسمها الشاعر للمتلقى فى إطار نظامه القيمي والتربوي هى صورة رمزية عن المجتمع الإنسانى، حيث يسعى البعض لتحقيق طموحاتهم وطموحات

الآخرين. إن الشاعر يرى بأن هؤلاء الأشخاص هم كالوعل الذي يتسلق الصخور والجبال والتلال من أجل الوصول إلى الحرية وتحقيق أهدافه والعيش في الأعالي، فى حين يتوقف البعض عند المنحدرات للعيش هناك. إن الوعل فى هذا الشعر يخاطب اولئك الذين توقفوا فى المنحدرات ويدعوهم للتحرك نحو القمم والعيش إلى جانب النسور، لأن هذا الحيوان يرى بأن العزة لأهل العزم الذين يسيرون نحو القمم ولا يتوقفون عند المنحدرات. هذه الأبيات تدل على قطع أمل الشاعر بجيله، لذلك أنه يستخدم قناع الحيوانات ليدعو الأطفال للعيش برفاهية والتحرك نحو التغيير والتطور وصناعة مستقبل ناجح وزاهر. إن النسر فى هذا الشعر هو رمز لبعد النظر والحداقة والقوة والتبلى. ثم إن الشمس والرياح والسحاب والمطر كلها يرمز إلى النور والأمل. والصخرة هى رمز للمعوقات والمشاكل، وعبر هذا الرمز يؤكد الشاعر على ضرورة عدم التخلّى عن الهدف بالرغم من جميع الصعوبات والمعوقات التى تواجه الفرد. إن هذه الصورة عن المجتمع الإنسانى تعبر عن أمنية الشاعر وحلمه الرئيس، وهو «الوحدة الوطنية، الدولة الوطنية الكبرى التى تحمى الأولاد من الذى يريد أن يقتلهم من يشاء ساعة يشاء من بيوتهم ومن تحت ظل شجرة التوت التى يعيشون تحتها».

(عزام، 2008م: <http://www.startimes.com/?t=12569686>)

ومن الحيوانات الأخرى التى ذكرها سليمان العيسى فى شعره هى الهرة. وفى قصيدة له تحت عنوان "الهرة تبقى هرة" يتحدث لنا الشاعر على لسان قطة؛ تلك القطة التى ترمز للإعجاب بالرأى والنفس والغرور والكبرياء:

يا ناسُ / يا بشرُ / يا أرضُ / يا شجرُ / الفهدُ والنمرُ / من أسرة الهرة / من هذه الشجرة / متى أنا النمرُ / والفهدُ يا بشر. (العيسى، ٢٠٠٩م: ٧٦)

يطمح الشاعر بلغة فكاهية من خلال هذه الأبيات إلى تعليم مفاهيم التواضع والتسامح للأطفال. إن القطة بسبب تصرفاتها المليحة وفى نفس الوقت تحايلها ومراوغتها، فإن لها رموز ودلالات خاصة تختلف من ثقافة إلى ثقافة أخرى بحيث أن دلالات رموز هذا الحيوان تتراوح بين السعد والنحس، حيث تراها بعض الثقافات نذير شؤم وأخرى منها ترى عكس ذلك. وتُعتبر القطط فى الإسلام حيوانات محببة إلا

إذا كان لونها أسود. (شوايه وآخرون، ١٣٧٧ش، ج ٤: ٧٠٠) وبالنسبة لاستخدام القطة في شعر العيسى يبدو أن توظيف العيسى لهذا الحيوان كرمز الغرور و الإعجاب بالنفس هو توظيف ذات معنى شخصي. له دلالات رمزية خاصة تعبر عن ما يكنه الشاعر من مشاعر، حيث لا يمكن العثور على تلك الدلالات التي أرادها الشاعر من خلال هذا الرمز، في النصوص الأدبية الأخرى.

والمعروف أن الشعراء يضيفون على الحيوانات معان أو ينسبون لها صفات أو هوية جماعية بناء على سنن مجتمعاتهم وعاداتها. على سبيل المثال، تعرف السلحفاة في المجتمعات المختلفة بالحمول برغم معرفتها ببعض الأمور، والثعلب يعرف بالمخادعة، والكلب يعرف بالوفاء والحمار رمز للبلاهة. لكن سليمان العيسى يثور على تلك السنن والمفاهيم ويسعى إلى إعطاء معان أخرى مغايرة للمعاني المعروفة في المجتمع، وبالتالي رسم المعاني الجديدة في أذهان الأطفال عبر تحطيم المعاني والرموز المعروفة القديمة لدى الجميع.

على سبيل المثال في هذا الشعر:

أنا سلحفاةٌ عندي.. / تأملاتي وصمتي / ولا أقتلُ نفسي / لكى أقصر وقتي / سعيدة
بهدوئي / كثيرةٌ مُنجزاتي. (العيسى، ٢٠٠٩م: ١٨٢)

إن الشاعر هنا ينظر إلى صفة الكسل والحمول التي تتسم بها السلاحف نظرة إيجابية، ويقرر بأن بطئ حركة السلحفاة هو دليل لطول عمره. ثم إنه قد قصد من خلال الإشارة إلى هدوء السلحفاة وطريقة مشيها البطئ، إيصال رسالة أخلاقية يذكر القارئ من خلالها بأن الهدوء والصبر هما السر الرئيس لتحقيق نجاحات وإنجازات كبيرة. إن السلحفاة في هذا الشعر هي رمز للصبر والصمود والتفكير والتخطيط لتحقيق نجاحات كبيرة.

وفي هذا الشعر المعنون بـ"الحمار يدافع عن نفسه" ينظر بنظرة مختلفة عن النظرة أو الخطاب السائد عن الحمارة، ويقول بلغة تهكمية:

كلُّهم يَهْزَأُ مني.. كلُّهم / من غبايبي ضاحكٌ أو ساخرٌ / أنا أذكي الناسِ حيناً ولي / غفلةٌ
حيناً وفكرٌ قاصرٌ / أترأهم كلُّهم من عبقرٍ / فيهم ألفُ حمارٍ سائرٌ. (المصدر نفسه: ٧٧)

إن هذه الأبيات هي إشارة إلى واقع المجتمع، حيث يوجد فيه أفراد يحكمون على الأشياء قبل ولادتها أو يطلقون أحكامهم على الآخرين بشكل متسرع. كما يظنون أنهم أذكياء حيث يرمون الآخرين بالجهل ويثبتون لأنفسهم العلم والتدبر. إن الشاعر يشير إلى هذه القضية الاجتماعية ويتحدث عنها بلغة الحيوانات. ويرى بأن الحمار ليس رمزاً للبلاهة وإن الناس هم الذين وصفوه بالحرق والبلادة والبلاهة، والحقيقة أنه برىء من هذه الأوصاف.

وكذلك ينظر نظرة مختلفة للثعلب الذي يعرف في الثقافات المختلفة بأنه رمزٌ للخدعة والإغواء. (شكر، ١٩٨٥م، ٢٤٨:١)، يقول في أحد أشعاره:

أصبحتُ رمزاً للخُداع/وقصةً في إثرٍ أخرى..كلُّهن خيال/تلك الشرارةُ من دُكائي
مرة/ تُذكي ومَراتٍ تسوءُ الحال/التعلُّبُ المُحتالُ..كم من سَقطةٍ/ أقسمتُ من إثرها لا
أحتال/إني لأكسِبَ لُقمتي بمرارة/ ويُقال عَنِّي..أتركوه يُقال/قِصصٌ..وأجملُ ما يُسليني
بها/ ويسرّني أن يضحك الأطفال. (العيسى، ٢٠٠٩م: ١٧٠)

إن الثعلب في هذا الشعر يظهر لنا كثعلب ذكي يجب الأطفال ويريد إضحاكهم خلافاً لما يعرف عنه بأنه حيوان مخادع. يبدو أن محاولة سليمان للخروج عن المؤلف في التعامل مع الحيوانات والانزياح عن المعاني والصورة الموروثة لتلك الكائنات، جاءت بهدف تغيير نظرة الأطفال إلى الأحداث الاجتماعية وتمكينهم من التعامل مع الأمور بنظرة أشمل وأوسع خارج تصوراتهم واعتقاداتهم الموروثة.

إضافة إلى ذلك، يبدو أن نظرة الشاعر المختلفة لهذه الحيوانات هي إشارة إلى طموح الشاعر وآماله حول تحول مجتمعه إلى مجتمع مدني حر يرعى حقوق الإنسان ويتمتع كافة أفراده بالحرية والحقوق بنسب متساوية.

الملاحظ من خلال شعر سليمان العيسى، إنه لا وجود للحيوانات المفترسة في عالم العيسى الشعري إلا مرة واحدة في الأبيات التالية، حينما توجه إحدى الأغنام سؤالاً عن أسباب خلقة الذئب وتخطب الله كالتالي:

لماذا تكونُ الذئاب؟/نَعيش بِخوف/نَموتُ بِخوف/ولم نَجِنِ شَيْئاً/ولم نُؤذِ حَيًّا/لماذا
لماذا الذئاب؟ (المصدر نفسه: ١٧٩)

إن عالم الطفل يجب أن يكون عالماً خال من العنف، لذلك فإن الذئب لا يتلائم مع عالم الشاعر الذى ينشد للأطفال، لأن عالم الأطفال مليئ بالأحاسيس والعواطف، لذا فإنه يطرح أسئلة عن فلسفة وجود هذا الحيوان. وبالنظر إلى الظروف السياسية والاجتماعية التى كان يعيشها الشاعر آنذاك، يمكن القول بأن الذئب هو رمز العدو والأغنام رمز للأطفال المظلومين الأبرياء الذين يعيشون حياة بائسة فى بعض الدول العربية كفلسطين فأصبحوا ضحية العدو الذى يتعامل معهم معاملة الذئب. لذا إن «الذئب قد جاء فى شعر سليمان العيسى وبسبب وجود صفات مشتركة بين الذئاب والصهاينة كالغدر والظلم والحرص، جعل الذئب رمزاً للعدو الصهيونى. هذه الصفات المشتركة يعنى الوحشية والغدر والحرص صلة ذاتية بين الذئاب والصهاينة.» (دهكردى، ٢٠١٧م: ٣٠٢)

الأعشاب

إن الأزهار والأعشاب، وأنواع الأشجار والأغصان والأوراق بالإضافة إلى اخضرار تلك الأوراق والأغصان حاضرة بشكل كبير فى أشعار العيسى حيث أضفى الشاعر عليها دلالات رمزية خاصة، وغالباً ما تكون لتلك الرموز إيماءات ترسم صورة عن طفولة الشاعر أو ماضيه الجميل؛ تلك الطفولة أو الماضى الذى قضاه الشاعر بين الأشجار والأجواء اللطيفة وسط المروج الخضراء.

وكباقي الشعراء الذين كتبوا للأطفال، فإن استخدام العيسى للأعشاب والأزهار فى شعره أقل من توظيفه للحيوانات، «ذلك لأن علاقة الأطفال بالحيوانات أكثر من غيرها وبسبب قدرة هذه الكائنات على الحركة.» (بلالى، ١٣٧٩ش: ١٥)

على سبيل المثال "فواغم" (الأزهار العطرة) و"البراعم" فى شعر سليمان العيسى هى رموز لتجديد وانبعاث الحياة.

وَأَتَى جُيُوشُ صَوَادِحٍ وَفَوَاغِمٍ / هَيَّا افْتَحُوا الأبوابَ سَوْفَ أَدُقُّهَا / حَتَّى أَرَى
الأغصانَ نَهَرَ بَرَاغِمٍ. (المصدر نفسه: ٣٢)

إن الأعشاب أو الأزهار العطرة إلى جانب الطيور المغردة هى رمز للأطفال الذين

سوف يطرقون أبواب البيوت العربية وسيحملون معهم رسائل الحياة والانبعث الجديد للأمة العربية. وكذلك "الأشجار" وأغصانها في هذه الأبيات ترمز إلى الوطن العربي الواحد. إن الشاعر يرى بأنه سيأتي يوماً ينتفض فيه هؤلاء الأطفال ويعملون من أجل استعادة الهوية العربية الضائعة، وبنضالهم وكفاحهم يجعلون الأشجار التي هي كيان العالم العربي، مورقة ومزهرة. إن الأزهار التي ترمز إلى الأطفال الذين سوف يسعون وراء استعادة أجداد الأمة العربية ويحافظون على هويتها، أو أغصان الشجر التي ترمز إلى الوطن العربي، هي من الرموز ذات الدلالات الخاصة التي خلقها الشاعر عبر توظيفه للكائنات الطبيعية.

الكائنات الطبيعية غير الحية

إن العالم النفساني "جون بياجه" يؤكد بأن عقلية الأطفال في سن الثانية حتى السابعة من العمر تختلف بشكل كبير من عقلية الكبار، حيث أن الطفل في هذه المرحلة يرى جميع الكائنات حية. فبالنسبة للطفل في هذه الفترة العمرية تعتبر الأشجار والجبال والشمس كائنات حية يمكنه أن يتحدث معها. (كيكان، ١٣٨٤ش: ٤٥٦) لذلك فإن العديد من الشعراء والكتاب الذين يوجهون إنتاجاتهم للأطفال، استعانوا بالتشخيص بشكل مكثف، حيث يعمد الأديب إلى نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة.

(عزام، 2008م: <http://www.startimes.com/?t=12569686>)

والريح من العناصر الطبيعية غير الحية التي أضفى سليمان عليها معنى رمزياً. إن الريح في قاموس الرموز يدل على عدم الثبوت والتغيير والتحول وذلك بسبب دلالاته على الحركة والثورة. (شواليه وكربران، ١٣٧٧ش: ٦)

إن الريح في الشعر المعاصر إما يكون رمزا للثورة والتجديد والتحول وإما رمزا للانهييار والدمار. (صدقي وانصاري، ١٣٩٢ش: ١٣٢) وفي شعر العيسى، إن الريح كباقي المكونات الطبيعية التي وردت في شعره، تلعب دوراً إيجابياً أو لها فاعلية إيجابية. إن الريح في هذا الشعر باعث على التفاؤل والأمل، كما إنه أداة لإيجاد الظروف

المواتية لمستقبل مبشر بالخير:

ريحُ الربيع أنا أشدُّ عزائمي / وأطيرُ .. لأوقظَ كلَّ شيءٍ نائمٍ / يا أرضُ هيبًا، طال نومُك
وانقضى / عن مُقلتيك روى الشتاءِ الحالمِ. (العيسى، ٢٠٠٩م: ٣٢)
إن الريح في أشعار العيسى كافة هي رمز «النصر والظفر والثورة».

(دهكردي، ٢٠١٧م: ٢٩٨) وكذلك هنا في أشعاره التي تخص الأطفال، رمز التغيير والأمل، حيث يشبه الشاعر الريح بالطائر الذي يطير في الهواء ويبعث الحياة في الأرض النائمة والكائنات الساكنة فيها من جديد. من جهة أخرى، إن ذكر ضمير "أنا" بعد الرياح يزيد من ثقة الطفل بنفسه. ثم إن هذه الثقة تزداد شدة بعبارة "أشدُّ عزائمي". وبالتالي إن الأرض النائمة في الشتاء هي رمز للوطن العربي الذي هو في غفلة عن واقعه الذي يعيش فيه. في هذه الأبيات يضع الشاعر الربيع والشتاء في تقابل وتعارض مع بعضهما البعض. فالربيع رمز للإنبات والنمو والحياة الجديدة والشتاء رمز لعدم الاطلاع والتغافل والسكون. إن هذا التقابل والتعارض ناتج عن اختلاف نظرة الشاعر للجبل العربي الماضي الذي لم يدافع عن تراثه وتاريخه اللامع وجيل المستقبل الذي «يستمد أصالته في مسيره نحو الظفر دون أن يغلق الأبواب على العالم المعاصر.» (عزام، 2008م: <http://www.startimes.com/?t=12569686>)

إن للشمس دلالات عديدة منها أنها رمز للعدالة والحرية والحق والحقيقة وايضا العظمة والحياة. (سهرابي: ١٣٩٣صص ٦-٢١) وفي شعر العيسى، تعتبر الشمس رمزاً للحياة والنور (الضوء) والبهجة والسرور.

الشمس والحرية في فكر الشاعر لا يفترقان أبدا:

يا نسمةَ الجبال / يا نقيّة / يا نسمةَ الجبال / إنّنا عشقنا الشمسَ والحريةَ في هذه
التلال. (العيسى، ٢٠٠٩م: ٢٦ و ٢٧)

إن الشاعر وعبر لسان الشمس يريد من الأطفال أن يصبروا حتى طلوع شمس الحرية من جديد:

انتظروني في الساحات / انتظروني / لي معكم أحلى الساعات / انتظروني (العيسى،

٢٠٠٩م: ٥٨)

إنها تطلب منهم انتظار فجر جديد محتوم للتخلص والتحرر من سواد الليل الذى هو الظلم. والملاحظ هنا أن المعنى الرمضى الذى حاول الشاعر رسمه هو نفس المعنى المعروف عن الشمس لدى الشعوب.

إن الحجارة هى إحدى الكائنات الطةبعية غير الحية، وتُعرف عادة بأنها رمز القسوة وعدم الرأفة. وفى الشعر المعاصر وبسبب ما حدث فى فلسطين من أحداث ومواجهات بين عدو مسلح بأنواع السلاح وبين شعب أعزل مظلوم ليس لديه سلاح يدافع عن نفسه إلا الحجارة؛ أخذت الحجارة دلالات رمزية جديدة، حيث أصبحت رمزاً للمقاومة والصمود أمام العدو وسياساته العدوانية.

إن سليمان العيسى بوصفه شاعراً قومياً، اهتم بالقضية الفلسطينية اهتماماً بالغاً، ودافع عنها بوصفها القضية الرئيسة للعالم العربى، حيث برز مدافعاً عنها وعن حقوق الأطفال الفلسطينيين من خلال شعره. (العيسى، لاتا، ٣: ٢٨٠) وأنشد ٧ أناشيد إلى جانب تأليفه لـ ٧ مسرحيات فى القضية الفلسطينية. (أبيض، ٢٠٠٩م: ٣١) إن العيسى يعتقد بأنه لا يمكن التأريخ للحياة العربية إلا بتأريخ الحياة الفلسطينية ويرجو أن يكون شعره تأريخاً للقضية الفلسطينية التى يسميها "الجرح العربى الأول". (نفس المصدر: ٥٤) بناء على عقيدته، قد استخدم الشاعر الحجر فى دلالاته الجديدة المعاصرة. إنه فى أشعار العيسى ليس شيئاً غير حى يُستخدم لبناء البيوت والمجدران فحسب، بل إنه رمز المقاومة والصمود أمام اعتداءات العدو:

أنا الحجر/أكون أحياناً سلاحاً رائع الأثر/أرد عنى يحتمى بى صولة الخطر /...أصدّ بطش غزوة/وأدفع العدوان والضرر. (العيسى، ٢٠٠٩م: ٨١)

والحجر من وجهة نظر الشاعر كشجرة صغيرة تنمو مع الأطفال، يترعرعون معها ولا يفارقونها أبداً. لذا فمن واجب صغار الوطن العربى كلهم أن يكونوا خلف من يقفون فى الصف الإمامى من أشقائهم الفلسطينيين وأن ينضموا إليهم. (أبيض، ٢٠٠٩م: ٤٧)

الفصول

فى شعر سليمان العيسى كل الفصول هى ربيع. المناظر الخلابة، والخضرة واعتدال

الجوفى فى فصل الربيع هى صفات تناسب الروح النقية واللطفة للأطفال؛ تلك الروح التى تنبهر أمام كل شئ.

الربيع فى شعر العيسى رمز للحرية والظفر بعد شتاء الظلم والاحتلال؛ وتلك الحرية هى حرية الشعوب العربية خاصة الشعب الفلسطينى. (دهكردى، ٢٠١٧م: ٣٠٠)

ريحُ الربيع أنا أشدُّ عزائمي / وأطيرُ.. لأوقظَ كلَّ شئٍ نائمٍ / يا أرضُ هبِّي، طال نومُكِ وانقضى / عن مُقلتيكِ روى الشِّتاءِ الحالمِ. (العيسى، ٢٠٠٩م: ٣٢)

إن هذه الأبيات هى الأبيات الوحيدة التى يذكر فيها الشاعر مفردة "الشتاء"، ثم إن ذكره هذه المفردة أو الحديث عن الشتاء لم يكن مستقلاً، بل جاء ذكرها مقابلة لفصل الربيع؛ كأنه يريد القول بأن الشتاء ليس له هوية أمام الربيع لذا لا بد له من الرحيل لكى تخضر الأرض ثانيةً وتحيا الأرض من جديد. إن الشاعر هنا يضيف على الشتاء دلالة رمزية، ليصبح الشتاء رمزاً للخمول والكسل والجمود. كما أنه رمز لحالة العجز والهوان التى تتسم بهما الشعوب العربية أمام الأعداء؛ تلك الظروف السيئة والقاسية التى ستزول عاجلاً أم آجلاً بواسطة الأطفال بوصفهم دُخر الأمة العربية وقادة المستقبل، وبذلك يدخل العالم العربى بعد شتاء الهزيمة فى ربيع الحرية.

النتائج

لقد أوصلنا البحث إلى عدة نتائج، نسجل أهمها فيما يلى:

سليمان العيسى - شاعر شعر الأطفال ورائده فى العصر المعاصر -، يلجأ إلى توظيف عناصر الطبيعة فى شعره لكى تتعاقب المفردات التى تختص بالطبيعة مع المفردات التى تنم عن وجدان الشاعر وأحاسيسه ومشاعره، كأنه يلوذ إلى الطبيعة وينصهر فيها انصهاراً كاملاً لتهدأ روحه إذ نستطيع أن نعدّه من قبيل شعراء الشعر الوجدانى أو الشعراء الرومانسيين الذين ينظرون إلى الطبيعة نظرة أكثر عمقا ويتعاملون معها بشكل مختلف عن الآخرين.

والرموز الطبيعية عند سليمان العيسى، تتعد عن دلالاتها المعجمية لتحمل دلالات أخرى جديدة متناسقة مع حالات الشاعر النفسية وأفكاره النضالية ومواقفه فضاءه

الروءى والءهنى. وهو ىءلق الءلالاء الرمزية الءءىءة لبعض الظواهر الطبلعة ىءعلها رمزا مناسبا للأطفال مواءما مع ءالاءهم النفسىة وءااءاهم الروءىة. إن الرموز الطبلعة عنء الشاعر ءءمءل فى الكفاح فى الساءة الأىءىولوجىة والءقافىة والاءءماعىة ما ءعل أشعاره ءساعد على النمو والرقى الفكرى والنفسى والأءلاقى لءى الأطفال. فىنظر إلى الءىواناء المألوفة لءى الأطفال كاهرّ والءمار والشعلب والسلفاء نظرة مءءلفة عن النظرة والاعءءاء السائءىن، هاءفا أن ىعلم الأطفال الاءءاء عن ءكوىن أءكام مسبقة على الآءرىن لا ءقبل النقاش ولا ءغىرها الءقائء الءامغة. إنه أراد أن ىعلم الأطفال بأن ءكون لهم نظرة مغاىرة وءءءءة للأشىاء والظواهر. كما أراد أن ىنقل رسالة مفاءها أن لكافة شرائء المءءمع ءق ءرىة الرأى والءعىبر، لءا فلابء من أن نعىر اهءماما لءمىع أفرال المءءمع.

ومظاهر الطبلعة فى فكرة سلمان العيسى من الشمس والرىء والرىبع و... كلها رموز إىءابىة ءقوء مءاطبىه من الأطفال نءو النضال والمقاومة لأءل الوصول إلى الهوىة العربىة ومءءها القءىم وءءب فى نفوسهم شءرة الأمل والراءاء لمستقبل أزهى. فالشمس رمز الءرىة والءلاص بعء ءءمل المكاىء كما لا ءشرق الشمس إلا بعء الظلمة. والرىء بهوبها وءرىانها على السهول رمز الءركة وءءم ءءبائ فى طرىق العوءة الى الوطن وأرض الآباء والأءءاء والرىبع بءضرءه ىءل على أن شءاء الهزىمة سىزول قرىبا وسىءل مءل الاءءصار. وكءلك الءءر كرمز إىءابى ءءمءور إءالاءه الءمالمىة ءول المقاومة والءصب والائبعاء فضلا عن الإءمار والبناء فى المءءمع.

ءشكل ءلائىة الهوىة والءرااء والوطن منظومة سلمان العيسى الفكرىة. فالءرااء بما فىه من اللغة والءقالء وءارىء الماضى (الشءصىاء والءوااء الءارىءىة الكبرىة) ركىزة أساسىة للهوىة الءقافىة فى شعر العيسى، لءلك ىؤكد علىه من ءلال الإشارة إلى الرموز الءراىة بشكل مءءف وكءلك الاءءماء إلى الأرض والوطن والاعءراز بالانءمام إلىه والءضءىة من أءله ىؤءى إلى ءكوىن الهوىة الوطنىة أو بشكل أوسع الهوىة القومىة لءى الأفرال. فعلى ذلك ءمءل الشءرة فى شعره رمزا للأرض والءءشبب بالءءور الموءلة فى ءراب الوطن. والءابة كرمز مءانى كبرى ءرمز إلى الوطن العربى الكبرى. فمن ىءءه نءو

قمة الجبل أى الحرية والإستقلال، مع كل العوائق والصعوبات، يدرك الهوية الحقيقية أو يدرك الأنا القومية مقابل الآخر الأجنبي. فمن لا أرض له ولا تراث، لا هوية له. فعلى ذلك العصفور كرمز للطفل العربي خاصة الطفل الفلسطيني المتشرد يبحث عن هويته الضائعة أو المسلوقة فى كل مكان ويريد استعادته من عدو صهيونى غاصب يتمثل فى رمز الذئب بمثابة آخر أجنبى يجب أن يحدف من ساحة حياة الطفل.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤ق). لسان العرب. ط ٣. بيروت: دار صادر.
- أبيض، ملكه. (٢٠٠٩م). سليمان العيسى فى لمحات. ط ١ دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- باوان بورى، مسعود ونرگس لرستانى وفاطمه اسدى وعليرضا حسيني. (١٣٩٣ش). «نگاهى به ادبيات كودك در سرزمينهاى عربى، مطالعه مورد پژوهانه: سليمان العيسى». همايش ملي رويكرهاى پژوهشى و كاربردى در علوم انسانى. مؤسسه آموزشى پژوهشى هزاره سوم.
- بلالى، رقيه. (١٣٧٩ش). «بخش گفتگو، گفتگو با جعفر قربانى». كتاب ماه كودك ونوجوان. السنة الثالثة. الرقم ١١. صص ١٠-١٧
- بلاوى، رسول وحسين مهتدى. (١٤٣٦ق). «الرموز الطبيعية ودلالاتها فى شعر يحيى السماوى». مجلة اللغة العربية و آدابها. السنة ١١. العدد الثانى. صص ١٨٥-٢٠٩
- بن عمر، فوزية. (٢٠١٤-٢٠١٥م). مفردات قصص الأطفال فى الجزائر ومدى توافقتها مع معجم الطفل. رسالة فى ماجستير كلية الآداب واللغات. الجزائر: جامعة حمة لخضر الوادى.
- چدويك، چارلز. (١٣٧٨ش). سمبوليزم. مترجم: مهدى سحابى. طهران: نشر مركز.
- حاجى زاده، مهين ومايه گوزل بهمن ومحدثه ابهن. (١٣٩٤ش). «بررسى وتحليل أشعار تعليمى سليمان العيسى در حوزه ادبيات كودك». مجلة نقد ادب عربى. الرقم ١١. صص ٦٧-٩٢
- الحديدى، على. (١٩٨٨م). فى أدب الأطفال. ط ٤. القاهرة: مكتبة الأنجوى المصرية.
- خوانى، زهرا. (٢٠٠٨م). أدب الأطفال فى الجزائر، دراسة لأشكاله وأنماطه بين الفصحى والعامية (١٩٩٠-٢٠٠٠). أطروحة دكتوراه فى فرع الأدب الشعبى فى كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. تلمسان: جامعة ابى بكر بلقايد.
- دشتيان، رسول. (٢٠١٢م). شرح و بررسى اشعار سليمان العيسى با تكيه بر مضمون و موسيقى، رسالة ماجستير. فرع اللغة العربية. طهران: جامعة طهران.
- رضائى، ابوالفضل وجواهر بوعدار. (١٣٩١ش). «أهمية الدواوين الشعرية للأطفال، سليمان العيسى نموذجاً». المؤتمر الدولى الثانى للغة العربية.

- رمانی، إبراهيم. (لاتا). الغموض في الشعر العربي الحديث. ط ۱. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعی. سرخی زاده، زهره. (۱۳۹۵ش). بررسی وتحلیل صور خیال در اشعار کودکانه محمد کیانوش و سلیمان العیسی. رساله ماجستر. ایران: جامعه پیام نور فی مدینه تفت.
- سهرابی، فرخنده ویحیی معروف. (۱۳۹۳ش). «بررسی نماد خورشید در شعر امل دنقل و شفیی کدکنی». کاوش نامه ادبیات تطبیقی جامعه رازی. السنة الرابعة. العدد ۱۳. صص ۱-۲۴
- شاملی، نصرالله وحسن علی یاری و ساجد زارع نجف آبادی. (۱۳۹۷ش). «نگاهی به نمادهای حیوانی در ادبیات فارسی». www.chistiha.com
- شوالیه، ژان و آلن گبران. (۱۳۷۷ش). فرهنگ نمادها. ترجمة و تحقیق: سودابه فضایی. ط ۱. طهران: منشورات جیحون.
- نصاری، جمال و حامد صدقی. (۲۰۱۳م). «الطبیعة الرمزية فی شعر بدر شاکر السیاب و نیما یوشیج». مجلة دراسات فی اللغة العربیة و آدابها. السنة الرابعة. العدد الخامس عشر. صص ۱۱۹-۱۴۲
- عبدالله زاده، فؤاد و علی اصغر حبیبی و حیدر عبدالله زاده. (۱۳۹۴ش). مضامین طبیعت گرایانه در "دیوان الأطفال" سلیمان العیسی. بوشهر: همایش جستارهای ادبی، زبان و ارتباطات فرهنگی.
- عبشی، نزار. (۲۰۰۵م). التناص فی شعر سلیمان العیسی. رساله ماجستر. کلیة الآداب و العلوم الإنسانیة قسم اللغة العربیة. سوريا: جامعه البعث.
- عکاشة، شایف. (۱۹۹۴م). نظریة الأدب فی النقد التأثری العربی المعاصر. ط ۱. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعیة.
- العیسی، سلیمان. (۲۰۰۹م). أراجیح تغنی للأطفال. ط ۱. دبی: دبی الثقافیة.
- _____ (۱۹۹۹م). ديوان الأطفال. ط ۱. دمشق: دارالفکر.
- _____ (لاتا). الأعمال الأخيرة. لامک: لاتا.
- العیسی، سلیمان و ملکہ أبيض. (۲۰۱۳م). رحلة كفاح. ط ۱. عربستان: دار الحافظ.
- فتحی دهرکدی، صادق و نادر محمدی. (۲۰۱۷م). الرمز الطبیعی ودلالته فی شعر سلیمان العیسی (ديوان أنا و القدس). مجلة کلیة التربية الأساسیة للعلوم التربویة و الإنسانیة. جامعه بابل. العدد ۳۵. صص ۲۹۴-۳۰۶.
- فیروز آبادی، محمد بن یعقوب. (۱۴۲۵ق). القاموس المحیط. ط ۱. بیروت: دار الکتب العلمیة.
- قرآنیا، محمد. (۲۰۰۳م). قصائد الأطفال فی سوریه. ط ۱. دمشق: إتحاد الكتاب العربی.
- کندی، محمد علی. (۲۰۰۳م). الرمز و القناع فی الشعر العربی الحديث. ط ۱. بیروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- نجیب، أحمد. (۱۹۹۱م). أدب الأطفال، علم و فن، دراسات فی أدب الطفولة. ط ۲. القاهرة: دار الفكر العربی.

نصرتی، معصومه. (۱۳۸۸ش). بررسی نمادها در شعر کودک و نوجوان دفاع مقدس در دو دهه ۶۰ و ۷۰. رساله ماجستير. كلية الآداب واللغات الخارجية والتاريخ. طهران: جامعة الزهراء.

هادی شکر، شاکر. (۱۹۸۵م). الحيوان في الأدب العربي. ط ۱. بيروت: عالم الكتب.

هجيرة، حماني. (۲۰۱۵م). دلالة الرمز في الديوان الشعري "اللؤلؤة" لعثمان وصيف. رساله ماجستير، قسم الأدب واللغة العربية. الجزائر: جامعة محمد خضير.